إضاءة

«مقهى مريم» في فرية ليفكس السياحية بجزيرة باروس (العربي الجديد)

نتيجة الحرب مع تركيا الكمالية ومعاهدة لوزان عام 1923، غادر الى اليونان حوالي مليون ونصف من مسيحيّي الاناضول الذين حملوا معهم تقاليد القهوة التركية، لتتشكّل هوية جديدة مع العداء المتزايد بين اليونان و تركيا: القهوة اليونانية

مشروبٌ في صلب سجالات الهوية

قهوةٌ يونانية في جزيرة باروس

محمد م. الارناؤوط

غرفت القهوة في اليمن منذ القرن الخامس عشر، وانتقلت بالتدريج إلى الحجاز مع الحُجّاج، ومنها إلى بلاد الشام ومصر ثمّ إلى أوروبا. وفي ما يتعلّق بالمقاهي الأولى، لدينا وثيقة مهمّة تتمثّل في محضر رفعه ناظر الحسبة في مكّة إلى السلطان المملوكي قانصوه الغوري، في السابع من ربيع الأوّل 917 للهجرة/ 1511 للميلاد، يتضمّن الشكوى من أنّ شراب القهوة «صار يُباع على هيئة الخمّارات»، نظراً إلى أنّ القهوة من أسماء الخمر، واصبحت الأكواخ تُدار في المقاهي كما في الحانات. ومن مكّة وصلت القهوة والمقاهي حوالي 1535 تقريباً إلى مركزَين مهمّين: القاهرة ودمشق. أمّا ما يخص الثانية، فيُخبرنا المؤرّخ الدمشقي المُعاصر للأحداث محمد بن طولون (توفي عام 1545) عن قدوم قاضي مكّة وشيخ الحرم ابن الضياء (توفي عام 1534) في زيارة إلى دمشق، ومشاركته في الاحتفال بعيد المولد النبوي عند الشيخ علي الكيزواني، حيث شرب هناك مع الجماعة «القهوة المُتّخذة من البُنّ» التي «لا أعلم أنّها شُربت في بلدنا قبل ذلك». ولمّا جاء فقيهُ الحجاز محمد بن عراق إلى دمشق عام 1539، أشار ابن طولون إلى أنّه «أشهر شرْب القهوة وكثرت بومئذ حوانيتُها»، ليدلّ بذلك على الاسم الجديد الذي أطلق على المقاهي: «حوانيت القهوة»، ثمّ «بيوت القهوة» بعد ذلك. أمّا ما يخص القاهرة، فيُشير المؤرّخ المصري القريب من الأحداث أحمد جلبي بن عبد الغني (توفي عام 1737)، في كتابه «أوضح الإشارات فيمَن ولي مصر من الوزراء والباشات»، عن قدوم الوالي الجديد خسرو باشا الذي حكم مصر بين عامَي 1534 و1536، إلى أنّه «في زمنه فشّت القهوةُ والمقاهي». وقد استمرّ تمدُّد القهوة والمقاهي من دمشق نحو الشمال؛ إلى حلب أوّلاً ثم إلى إسطنبول التي افتتح فيها شمس الدمشقي وحكم الحلبي مقهى في محلة «تحت القلعة» عام 1554، لتنتشر فيها المقاهي بعد ذلك. ومن إسطنبول تمدّدت القهوة والمقاهي شمالاً وغرباً لتشمل سالونيك وبلغراد وسراييفو وغيرها، وتتابع طريقها شمالاً وغرباً في أوروبا ومنها إلى أميركا.

القهوة والهويات الجديدة

مع انتشار القهوة عبر القارّات تشكّلت مع الزمن هويات متعدّدة للقهوة والمقاهي من مشارب البدو؛ حيث تُدار فيها «القهوة العربية»، في المناسبات الاجتماعية المختلفة إلى «مقاهي فيينا» التي انتشرت في أوروبا و«القهوة الأميركية» التي شاعت في أوروبا والعالم، واصبح يمكن أن تجدها في أيّ مطار. ونظراً إلى أنّ القهوة انتشرت من إسطنبول إلى البلقان ومنه إلى أوروبا الوسطى والغربية، شاعت هوية جديدة للقهوة (القهوة التركية) التي كانت تعني القهوة التي شاعت في أرجاء الدولة العثمانية ثمّ أصبحت مع إلغاء السلطنة وإعلان الجمهورية التركية رمزاً للهوية القومية التي تنامت في العقود الأخيرة مع التوتّرات مع الدول المنبثقة عن الدولة العثمانية (اليونان وغيرها)، حتّى إنّ تركيا نجحت، عام 2013، في تسويق «القهوة التركية» في قائمة التراث الإنساني غير المادي التي تعتمدها «يونسكو». وقد دفع هذا بلدان الخليج (السعودية وقطر والإمارات وعمان) إلى تقديم ملفّ لاعتماد «القهوة العربية» في قائمة التراث الإنساني غير المادي، وهو ما وافقت عليه «يونسكو» في الرابع من كانون الأوّل/ ديسمبر 2015. وفي هذا السياق، يُشار إلى أن «القهوة البوسنوية» أصبحت أيضاً رمزاً للشعب البُشناقي الذي كانت وما زالت هويته مهدّدة من دول الجوار. وفي هذه الحالة، لم تعُد القهوة مجرّد مشروب، بل تُمثّل في طقوس تحضيرها وتقديمها ثقافةً متميّزة تجمع الأهل والأقارب في البيوت والأصدقاء في المقاهي للمدردشة والنقاش حول مختلف الأمور.

ومع وصول القهوة وانتشار المقاهي في أميركا الشمالية ابتداء من النصف الثاني من القرن السابع عشر، برزت في الولايات المتّحدة «القهوة الأميركية» التي شاعت في أوروبا والعالم، واصبح يمكن أن تجدها في أيّ مطار. ولكن يلاحَظ في الولايات المتّحدة في السنوات الأخيرة بروز «القهوة اليمنية» وانتشارها عبر شركات تفتتح فروعاً لها في عدّة ولايات وتُقدّمها في نمط مختلف من المقاهي التي تُقدّم معها بعض الحلويات اليمنية التقليدية وغيرها، لتُذكّر العالم بالبلد الذي انطلقت منه «المصقّعة اليونانية» وغيرها فقط ما يرحّب بضيوف اليونان، بل برزت أيضاً «القهوة اليونانية» التي تُحضّر وتقدّم بطقوس خاصّة في مقاه اكتسبت أيضاً هوية خاصّة تُميّزها من غيرها. ويلاحَظ هنا أنّ اليونان انضمّت مع الزمن إلى مجموعة الدول الـ15 الأكثر استهلاكاً للقهوة في العالم بمعدّل 5,5 كغ للفرد سنوياً، مع أنّ العقود الأخيرة للأزمة والعولمة أخذت تُبرز تأثيرها على ذلك.

يزيد الاهتمام بـ«القهوة اليونانية» خلال التوتّرات مع تركيا

القهوة بنوعيها (القهوة القشرية والقهوة العادية) في القرن الخامس عشر في وقت يعاني فيه اليمن ما يعانيه.

قهوة يونانية في جزيرة باروس

بقيت اليونان حتى استقلالها عن الدولة العثمانية في 1830 منحصرة في الجنوب، ثمّ توسّعت كثيراً بعد حرب البلقان (1912 - 1913) في الولايات العثمانية (سالونيك ويانينا) التي كانت فيها تقاليد راسخة للقهوة والمقاهي. ثم جاء اليونان نتيجةً للحرب مع تركيا الكمالية ومعاهدة لوزان عام 1923 حوالي مليون ونصف من مسيحيّي الأناضول الذين حملوا معهم تقاليد القهوة التركية، لتتشكّل مع الزمن هوية جديدة مع العداء المتزايد بين اليونان وتركيا: القهوة اليونانية. في تسويق نفسها مقصداً سياحياً لم تعُد «السَّلطة اليونانية» و«الجُبنة اليونانية» وحدهما، بل أصبحت القهوة اليونانية أيضاً. وفي هذا السياق، يُشار إلى أنّ «القهوة العربية» في قائمة التراث الإنساني غير المادي، وهو ما وافقت عليه «يونسكو» في الرابع من كانون الأوّل/ ديسمبر 2015. وفي هذا السياق، يُشار إلى أن «القهوة البوسنوية» أصبحت أيضاً رمزاً للشعب البُشناقي الذي كانت وما زالت هويته مهدّدة من دول الجوار. وفي هذه الحالة، لم تعُد القهوة مجرّد مشروب، بل تُمثّل في طقوس تحضيرها وتقديمها ثقافةً متميّزة تجمع الأهل والأقارب في البيوت والأصدقاء في المقاهي للمدردشة والنقاش حول مختلف الأمور.

من المعرض

معرض

إحلال توثيق بصري لتاريخ الاستعمار الاستيطاني

محطّة في كيب تاون

صُمّم المعرض المقام حالياً في المدينة الجنوب أفريقية تفاعلياً، إذ يحتوي وثائقيات تتناول استراتيجيات الاستيلاء على الأرض التي يتبعها الاحتلال

كيب تاون ـ **العربي الجديد**

يضيء معرض «إحلال.. ميراث من المقاومة»؛ الذي انتقل إلى «متحف إيزكو بورو- كاب» في مدينة كيب تاون الجنوب الأفريقية، في الثامن من الشهر الجاري، ويتواصل حتى الحادي والثلاثين من آذار/ مارس المقبل، تاريخاً من الإرهاب ونهب الأرض يُمثّل خلاصة المشروع الاستيطاني الصهيوني. المعرض الذي ينظّم بالاشتراك مع «مؤسسة ومتحف ياسر عرفات» في مدينة البيرة، افتتح لأوّل مرّة في شباط/ فبراير من العام الماضي، وصمّم تفاعلياً حيث يحتوي مجموعة من الفيديوهات الوثائقيّة التي تتناول تاريخ الاستعمار الاستيطاني في فلسطين، واستراتيجيات الاستيلاء على الأرض التي يتبعها الاحتلال منذ عقود عدّة. يضمّ المعرض وثائقياً آخر يروي وقائع إشعال المستوطنين النار في منزل عائلة دوابشة الفلسطينية في قرية دوما بالقرب من مدينة نابلس، في الحادي والثلاثين من تموز/ يوليو 2015، ما سبّب استشهاد الرضيع علي الذي كان عمره 18 شهراً، وإصابة والده وشقيقه بجروح خطيرة، ليستشهد لاحقاً والد الطفل وربّ العائلة سعد دوابشة، ثمّ الأم ريهام دوابشة.

تُعرض أيضاً صور للعديد من الفنانين الفوتوغرافيّين الفلسطينيّين التي سجّلت جانباً من الجرائم والانتهاكات التي ارتكبها المستوطنون، مرفقةً بالمعلومات والخرائط والوثائق والإحصائيات التي تقدّم بالتعاون مع عدد من المراكز البحثية، وتشير بالأرقام كيف بسيط الاستيطان على الأراضي والمياه والثروات الطبيعية، ويهجّر الفلسطينيّين من أرضهم، كما تؤرّخ الوثائق للمقاومة ضدّ الاستعمار.

يركّز المعرض على قرية النبي صموئيل قرب القدس، نموذجاً للاستيطان

ويركّز المعرض على قرية النبي صموئيل، الواقعة حوالي 8 كم شمال غرب القدس، نموذجاً للاستيطان مع تواصل احتجاجات سكّانها البالغ عددهم مئتين وخمسين، بعد تهجير أهلها بالقوة عام 1967 وتدمير معظم بيوتهم، ثم أعلنت سلطات الاحتلال أراضي القرية «حديقة قومية» من أجل منع البناء عليها وزراعتها، ليبدأ بعد ذلك بناء المستوطنات عليها. ويُخصص المنظّمون ركناً لمبادرة «أرواح الفراشات في فلسطين» التي تأسّست في جنوب أفريقيا، وتركّز في جميع أنشطتها على ضحايا العدوان الإسرائيلي منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023، من الأطفال في قطاع غزّة وجميع أنحاء فلسطين، من خلال أعمال فنيّة جماعية توضّح كيفية استهداف الأطفال وقتلهم جراء القصف المباشر.

يستعيد «متحف إيزكو بورو- كاب» خطاب الرئيس الجنوب أفريقي نيلسون مانديلا الذي ألقاه في الرابع من كانون الأول/ ديسمبر 1994، ويقول فيه «نحن نعلم جيداً أنّ حريتنا غير مكتملة بدون حرية الفلسطينيّين»، من أجل تأكيد أنّ النضال الفلسطيني يعكس التاريخ المؤلم لجنوب إفريقيا من الفصل العنصري والتهجير القسري للسكّان. ويشتمل المعرض على مجموعة من الورش والفعاليات التي يستمر تنظيمها خلال الأشهر المقبلة، لمناقشة مجموعة من الشهادات الحيّة، والمقابلات المصوّرة، والقرارات الدولية التي تدين الاستعمار الاستيطاني، في لحظة يبلغ عدد المستوطنين في الضفة الغربية نحو 750 ألفاً، يمثلون 25% من مجمل سكان الضفة، ويستولون على 70% من مجمل أراضيها، و600 مليون متر مكعب من المياه الفلسطينية.

مع غزة

عبر الكتابة والمقاطعة والمساندة

ليلى عبد لله

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

أبو ظبي ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادة على غزّة؟ الشعور بالمرارة والذهول كيف يمكن أن يمضي العالم حياته في ظل الإبادة على أهلنا في غزّة.

■ كيف أثّر العدوان على حياتك اليومية والإبداعية؟
شعرتُ لفترة بعجز كبير أمام القيام حتى بمهامي اليومية. كنت أشاهد ما يجري في غزّة طوال الوقت. توقفت رغبتي في الكتابة على مشاريعي الشخصية. كما عجزت عن قراءة كل ما لا يمت بصلة إلى غزّة. وحين استعدتُ قليلاً من وعيي صرت منكبة على قراءة معظم الكتب التي تناولت حالة غزّة وظروف فلسطين التاريخية. كنتُ أقرأ كتباً عديدة في الوقت نفسه لمحاولة فهم ما يجري ولأكون عضوة فاعلة لتعريف العالم بما يجري عبر حقائق تاريخية لا مجرّد كلام عاطفي. سجّلت الكثير من الملحوظات. سرعان ما جمعتها في مقالة ونشرتها بعنوان «صنّاعة الهولوكوست في الشرق الأوسط». السابع من أكتوبر غيّرنا جميعاً. جعلني حذرة وأكثر وعياً. صرتُ أحصي وأعاين ما أشتريه من سلع، وأقاطع سلع الدول التي خذلت غزّة وأهلها، وتلك التي دعمت الصهاينة. تعلّمت التخلّي عما أحبّه وما أعتدته. الأمر لم يكن صعباً، بإمكاننا أن نستغني، أن نسجل موقفاً بسيطاً، عبر المقاطعة وعبر الكتابة وعبر المساندة والتعاطف أيضاً.

■ إلى أي درجة تشعرين أن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟
هذا السؤال يذكّرني بمقولة في مقطع من مقالة معنونة بـ «نحو فن بروليتاري» لمايد غولد كتبها عام 1929، في صحيفته الراديكالية «الجماهير الجديدة»، قال فيه وقتئذٍ: «لم يعدّ الفن أمراً نخبويّاً متعجرفاً أو جباناً، فهو يعلّم الفلاحين كيف يستخدمون الجرارات، ويمنح الأناشيد للمقاتلين الشباب، ويصمم القماش الذي ترتديه العاملات في المصانع، ويكتب المسرحيات الهزلية لمسرح المصنع، وله فوق ذلك مائة مهمة أخرى، الفن المفيد مثله مثل الخبز».

■ لو قيّض لكِ البدء من جديد، هل ستختارين المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟
اعتقد أن المجال الإبداعي يشمل كل ذلك، فالكتابة هي مسؤولية وهي ممارسة إنسانية بالدرجة الأولى ونضالية، كما أنها تعبّر عن سياسات المجتمع.

■ ما هو التغيير الذي تنتظرينه أو تريدينه في العالم؟
يطمح المرء إلى تغيير نفسه قبل أيّ شيء.

الكتابة مسؤولية إنسانية بالدرجة الأولى وممارسة نضالية

■ شخصية إبداعية مقاومة من الماضي تودين لقاءها، وماذا ستقولين لها؟
شخصية المناضل والبطل الليبي عمر المختار. لا أدري ماذا يمكن أن أقول له. ربما أودّ رؤيته فحسب.

■ كلمة تقولينها للناس في غزّة؟
**ماذا يمكن أن نقول لغزّة التي تموت كل يوم. دعني أستعيرُ كلمات محمود درويش في نصّه لها «غزّة كل يوم»:
«غزّة تواصل انفجارها، لنقول لها شكراً!
وغزّة لا تواصل انقضاضها اليومي على الموت، لكي نكتب عنها قصيدة.
وغزّة لا تجد متّسعاً من الوقت، لكي تقرأ تحياتنا.
ولا نريد إلى غزّة، لأنها محاصرة بالأمل والأعداء.
ورغم ذلك، نقف، وكل يوم، لكي نصلي لاسمها النادر بين الأسماء».**

■ كلمة تقولينها للإنسان العربي في كلّ مكان؟
تحلّوا بالأمل.

■ حين سئلت الطفلة الجريحة دارين البيّاع التي فقدت معظم أفراد عائلتها في العدوان: ماذا تريدين من العالم، أجابت «رسالتي للناس إذا بيحبوا دارين يكتبوا لي رسالة أو أي إشي». ماذا تقولين لدارين ولأطفال فلسطين؟
كم أنت شجاعة يا عزيزتي دارين! بهذه الشجاعة ستتوقّد طرقك في الحياة. أنتِ قويّة، أقوى بكثير من هذا العالم الهشّ. ستعيشين طويلاً وبقوة يقينك بالنجاة وبها أيضاً سترفعين علم فلسطين عالياً عالياً رغم أنف العدوان الغاشم.

ليلى عبد لله

بطاقة

ليلى عبد الله، أو كما عُرفت سابقاً باسم ليلى البلوشي، كاتبة عمانية مقيمة في دولة الإمارات، كتبت في عدد من الصحف والمجلات العربية. لها عدد من الكتب في مجالات أدبية مختلفة، منها «رسائل حب مفترضة بين هنري ميللر وأناييس نن» (2014، دار الانتشار العربي)، و«هواجس غرفة العالم» (2014، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، و«أريكة وكتاب وكوب من القهوة» (2018، مداد للنشر والتوزيع)، و«أدب الطفل في دولة الإمارات» (2008) و«تحليقات طفولية في مجال الكتابة الإبداعية» (2011) وكلاهما صدر عن دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، ومجموعتان قصصيتان «كائناتي السردية» (2016، دار نينوى)، و«فهرس الملوك» (2023، دار مرايا)، ورواية «دفاتر فارهو» (2018، دار المتوسط).

إطلالة

قصّة الماء

عباس بيضون

لا يفاجئنا أن نقرأ لريم الجندي في تقديمها لمعرضها «ملمس الماء»، المستمرّ في «غاليري أجيال» حتى الحادي والثلاثين من آب/ أغسطس الجاري، أنّه حصيلةُ جيرةٍ طويلة لـ«بيسين في موتيل»، الذي يرجع بناؤه إلى سبعينيات القرن الماضي، أنّ وراءه سنوات من عِشرة الموتيل الذي هو، بحسب نصّ الجندي، «كبسولة زمنية تعيش في هناءة متوسّطية».

ليست المرّة الأولى التي تستلهم فيها الفنّانة التشكيلية اللبنانية حياتها الخاصّة؛ ذلك يكاد يغلب على فنّها. إنّها هي وابنها وزوجها والأصحاب وأمكنتهم يُطلّون غالباً من اللوحات، في تقصُّد معلَن إلى حدٍّ يُراودنا معه التشكيك فيه. هذه السيَرية (من سيرة) متعمَّدةٌ، وكذلك الإعلان عنها، وتسميتها ما يكاد يكون بالحرف، يمكننا أن نعتبرها لذلك في أصل العمل وأنّها عضوية فيه. لكن الأمر يتعدّى هذه المرة العنوان والتسمية. إنّه أسلوب بحدّ ذاته، أسلوبٌ له خاصيته وله طريقته، بل وطرائقه.

عودة الجندي المتكرّرة إلى حياتها الخاصّة ليست فقط بالموضوع، بقدر ما هي خيارٌ تشكيليّ أوّلاً لا نستشفّه من العنوان فحسب، بل هو تكنة للوحة، تتوسّل بهذه السيَرية الوصول إلى خصوصيتها. البورتريه والمونوغرافية هُما مدخل إلى لوحة، لا يستوقفنا فيها هذا الشأن الذاتي، بقدر ما تستوقفنا الخيارات التعبيرية.

يمكننا القول إنّ رؤيتها، وإن اكتسبت هذا المرجع الذاتي، هي قبل كلّ شيء فنّها. هي بالدرجة الأولى تعاملُها مع العالم والأشياء، والتفاصيل، عالمها وحدها. لذا لا نسأل ريم الجندي عن قصّتها مع الماء فقط، بل نتساءل معها عمّا يجعل من الماء ملمساً، أي ما يجعل منه جلداً آخر وبيتاً وطقساً وتشكيلاً وإيحاءً ورغبةً وشغفاً.

حين ننظر إلى اللوحات، أو ما على بروشير المعرض، نرى الماء هنا دوائر وانحناءات متوازية في الغالب، ما يجعلها تتوالى تحت العينَين في ما يكاد ينمّ عن موسيقى، بقدر ما يشفّ عن زخرفة خاصّة. لكن يلفتنا داخل الماء الجسد العائم في ما يشبه أن يكون جُرحاً فيه، أو مصغّراً يشفّه من العمق.

يلفتنا أنّ إرادة التصغير هذه، والشقّ في الماء، والحركة التي تمخر الماء من دون أن تتعارض معه، بل تبدو في الغالب جزءاً من تلوياته وزخرفه، مستمدّة من هذه الحركة كما من امتدادها الطولي، امتداد الجسد النحيل الذي يشقّ الماء بحيث يبدو مصغّره العائم، مصغّر الجسد الذي يترك للماء أن تكون له هذه الفسحة وذلك الانبساط. لن يكون لهذه الالتواءات المتوازية التي تُشكّل سطح المسبح مبنىً إلّا مع هذا الجسد الذي يتضاءل، وغالباً عن قصد، ليُصبح جزءاً من تواليات الماء، بل وعنواناً لها.

القصّة هكذا تبتعد إلى زاوية أو جانب أو منحنى، لكن مع ذلك تبقى القصّة هنا، بل يعينها أن تبقى كذلك، للعجب، هذا النزوع إلى تصغيرها، بحيث لم توجد إلّا لتُشير من بعيد، وبما يشبه الهمس، إلى قصّة الماء كلّها، عندئذ يغدو للتواليات التي تتردّد بما يشبه اللازمة، أو الجملة الزخرفية، سرّ وقصّة ما.

يمكننا هكذا أن نجد في ذلك التضادّ، أو ما يشبه التضاد، بين حركة الماء المنفّعة وهذا السرّ الصغير، الجسد الذي ينبت في وسطها أو على جوانبها، ما يكاد يكون قصّة ريم الجندي مع المسبح داخل الموتيل التي روتها، بجمال واتّساق، في نصّها المصاحب للكرّاس. في هذه المقابلة بين تلويات الماء والسابحة في طرف منه، أو وسطه، ما يجعل للوحة هذا التكامُل بين صفحة الماء وسرّها العائم، بحيث يتحقّق ذلك كلّه، ليس فقط في اللوحة بمسرحها الصريح وشبه المعلن، بواقعيتها الخاصّة والملبسة، بل يعيد إلينا عنوان المعرض إذاً اللوحة بسطحها وسابحتها وما بينهما من تقابل وتناغم في الوقت ذاته، هي ما يعنيه ملمس الماء، وما يستثيره وما يُطلّ عليه.

(شاعر وروائي من لبنان)

فعاليات

تُنظّم «مؤسّسة الدراسات الفلسطينية» في بيروت، عند الثانية من بعد ظُهر غدٍ الاثنين، ندوةً افتراضية بعنوان **الإبادة البيئية: تدمير مشتل وحدائق غزّة**، بمشاركة **رائد لبد** و**ايمن نجم**. تناقش الندوة سياسات الاحتلال في تدمير البيئة والزراعة في غزّة، وبصورة خاصّة تدمير الأشجار والحدائق العامّة في مدينة غزّة.

يُفتتح، عند الخامسة من عصر الجمعة المقبل، في «بيت الذاكرة - شبكة متاحف القدس» بعمّان، معرض **حكايات فلسطينية، ذاكرة تقاوم النسيان**، ويتواصل لثلاثة أيام. يضمّ المعرض صوراً ووثائق ورسائل تُوثّق الحياة في فلسطين قبل الاحتلال الإسرائيلي، إلى جانب الأرشيف الشخصي للتربوي الفلسطيني **علي رشيد شعث** (1908 ـ 1969).

حتى الثالث من الشهر المقبل، تتواصل فعاليات الدورة الرابعة والاربعين من **مهرجان مدنين الثقافي الدولي**، والتي انطلقت الاربعاء الماضي في المدينة التونسية. يشتمل المهرجان على عدد من العروض المسرحية للفنّانين **بسام الحمراوي**، و**وجيهة الجندوبي**، و**مرتضى الفتيتي**، ومعرض للفنّان التشكيلي التونسي **محمد رشيد راجح**.

تتواصل، حتى الثاني من الشهر المقبل، فعاليات الدورة الثانية من **معرض السويس للكتاب**، والتي افتتحت امس السبت في مدينة السويس المصرية، بمشاركة اكثر من خمسين دار نشر. يتضمّن برنامج المعرض اشهار اصدارات جديدة، وندوات ومحاضرات حول الادب الرقمي، والذكاء الاصطناعي، وتاريخ مدينة السويس.

ثقافة

تخصّص «العربي الجديد» صفحة «نصوص الحياة والحرب من غزّة» لشعراء وروائيين ومسرحيين وفنانين من قطاع غزة، كي يعبّروا عن تفاصيل الحياة اليومية تحت القصف الإسرائيلي

نصوص الحياة والحرب من غزّة

عمل للفنانة الفلسطينية سهاد الخطيب

زهير البلبيسي ممثل

يوم عادي جداً

يوم آخر قد بدأ مع صوت أذان الفجر، إنه اليوم السبعون بعد المئتين من عمر حرب الإبادة الإسرائيلية علينا في قطاع غزّة، وقد تعودنا على الشعور بغصّة ومرارة في الحلق بمجرد أن تفتح عينيك بعد بضع ساعات قليلة من النوم المتقطع نتيجة القصف المتكرر علينا، الذي يطاول منازل المواطنين العزل دون أن تلوح في الأفق أية بوادر لانتهاء هذه الحرب الملعونة، أو تقترب أي هدنة إنسانية تمكن النازح من التقاط أنفاسه، أو حتى نسيان أو تناسي مشاهد القصف والدم النازف أو تضميد جراحه، أو إخراج جثث الشهداء التي تحللت تحت الركام. وأمام عمق تلك المأساة التي نعاني منها على مسمع ومرأى العالم بأسره ومنهم من هم إخوة لنا في الدين والقومية وأصدقاء يتفننون في بيع الأوهام لنا، فليس لنا إلا التوجه إلى الله والدعاء لوقف حمام الدم الهادر.

نهضتُ من فراشي وتوضأت وصليت الفجر ودعوت الله عز وجل أن يرحم شهداءنا، ويشفي جرحانا وينهي هذه الحرب المسعورة فلم نعد نعول إلا على الله، أما البشر فالكلّ يعمل لمصلحته السياسية دون النظر إلى هذا الشعب الذي يتعرض للإبادة الجماعية، فنتنياهو لا يريد وقف الحرب لأن نهاية الحرب تعني محاكمته على مسلسل الفشل الذي لعب بطولته وبجدارة، والمقاومة تتمترس خلف شروطها لإجراء صفقة التبادل. فليس من المنطق بعد هذا العدد الكبير من الشهداء والذي فاق الأربعين ألف شهيد وثمانين ألف جريح، أن نذهب الى صفقة تبادل أو هدنة لا تحقق الحد الأدنى من أهداف شعبنا.

فتحت المذياع لسماع آخر الأخبار، وكان أولها عودة رئيس الموساد والوفد من قطر ليعرض ما سمعه من الوسطاء على رئيس حكومته نتنياهو، فقد ذهب الرجل دون أي صلاحيات للتفاوض، كما هي عادة نتنياهو المتمثلة في أن يرسل وفداً ويسحب منه صلاحيات التفاوض، والهدف تخفيف ضغط الجبهة الداخلية عليه وإرضاء بايدن الذي يلهث لعقد صفقة تبادل ترفع ولو قليلاً من شعبيته المتهالكة وكسب الوقت وتمديد الحرب حتى وصول ترامب إلى سدة البيت الأبيض. أغلقت المذياع بعنف وقد عاد إلي قلقي وتوتري، فلم يعد بمقدوري سماع أكاذيب السياسة، وذهبت إلى السرير لأقتطع من الوقت ساعتي نوم إيماناً مني بأن الهروب من الواقع هو أفضل شيء أفعله.

■■■

إنها العاشرة صباحاً. ذهبتُ إلى السوق الذي يمتد من مدرسة الجاعوني إلى دوار أبو صرار في النصيرات، والمزدحم بالبسطات والبشر، فاليوم أصبح السواد الأعظم من الشعب باعة في السوق حيث لا مصدر للرزق سوى البسطة، وقد تحول أكثر من نصف أطفال المدارس إلى باعة على البسطات، أو باعة جائلين. وهنا يراودني سؤال لم أجد له إجابة «ماذا لو حطت الحرب أوزارها هل نستطيع أن نعيد هذا العدد الكبير من الأطفال إلى مقاعد الدراسة بعد أن ذاقوا حلاوة الربح وعدّ النقود؟».

وصلت إلى مفترق الزهور حيث يبدأ الزحام في السوق وإنجذبت بلا وعي نحو باعة الدخان لأسأل عن سعره آملاً أن تكون أسعاره قد انخفضت بعد ارتفاعها الجنوني في الفترة الأخيرة، ولكن للأسف فالأسعار تفوق الخيال إذ إن سيجارة «الكاريلا» يفوق سعرها المائة شيكل، وسيجارة «الإل إم» يفوق سعرها سبعين شيكلاً، فيما سيجارة الدخان الشامي بخمسة وثلاثين شيكلاً. نعم أنا أتحدث عن أسعار السيجارة الواحدة. وهذه الأسعار لا يستطيع أحد من الباعة أن يبيعها بهامش ربح أقل، وإلا لن ينال حصته من التاجر الكبير في اليوم التالي.

ويراودني سؤال أكثر ألماً لا ينفك يشعرني بالصداع «من المسؤول عن حالة الغلاء هذه؟»، «ومن المستفيد؟»، «وأين القانون؟» و«أين وزارة الإقتصاد من كل هذا؟». أسئلة بديهية لكن بلا إجابة.

ألا يعلم المسؤول أن معدل الجريمة والسرقة قد ارتفع بشكل كبير نتيجة هذا الغلاء في أسعار الدخان، والدليل على ذلك أن من يستطيع شراء سيجارة هو السارق والذي يحصل على المال دون عناء، إما التاجر أوالموظف، أما أمثالي فلا يستطيعون شراء سيجارة كل أسبوع.

ماذا لو حطت الحرب أوزارها، هل نستطيع أن نعيد هذا العدد الكبير من الأطفال إلى مقاعد الدراسة؟

إن كان الدخان رجسا من عمل الشيطان ورفع أسعاره فيه مكافحة للشر ودعم للخير فلماذا يطاول الغلاء قوت الناس اليومي مثل الخضار والخبز والفاكهة واللحوم المجمدة، حيث تباع بأضعاف أسعارها فيما راتب الموظف لم يعد يصمد عشرة أيام في أحسن الأحوال؟ السوق مزدحمة بالناس والكثيرون يقفون أمام البسطات يسألون عن الأسعار، وقلة قليلة من تشتري.

■■■

عدتُ إلى المنزل بكيس أغراض لم يتجاوز الثلاثة كيلو غرامات من الخضار، والتي هي من ضروريات الحياة لنبدأ رحلة الطبخ، في السابق كنت أعود للبيت بعشرات الأكياس المليئة بعشرات الكليوات من عشرات الأنوع من الفواكه والخضار.

نعم في غزة الآن الرجال هم المسؤولون عن الطبخ، لأن النساء في معظمهن لا يُجدن إشعال النار، فغاز الطهي منذ شهور لم يدخل معظم المنازل والمحظوظ هو من نجح في ترك أنبوب الغاز لدى الموزع حتى يأتيه الدور بعد أيام أو أسابيع. وقبل أن تنتهي من رحلة الطبخ عليك الإسراع لوضع أوانيك في طابور المياه لملئها وإلا ستقضي بقية يومك وليلتك بدون ماء، ويجب ألا تغفل عن مياه الشرب وشحن البطارية لإضاءة «لدات» الإنارة وإلا ستقضي ليلة معتمة، وكل هذا يجب ألا يلهيك أو ينسيك طابور الخبز للحصول على ربطة خبز.

وعليه فالمواطن هنا يصول ويجول طيلة يومه فقط من أجل البقاء على قيد الحياة، وبحلول الظلام تجلس لتحاول أن تجد إجابات عن التساؤلات المرهقة التي تدور في رأسك منذ شهور وأهمها بالطبع: متى ستحط الحرب أوزارها؟ متى ستنتهي هذه المعاناة؟ هل سنصبح مع الأحياء أم في عداد الشهداء؟ من استشهد اليوم؟ ومن نزح؟ وإلى أين؟

ثم ها هو النوم يداعب جفوني وقبل أن أغط في نومي لأستفيق منزعجا على صوت قصف أحد المنازل، وهكذا أقضي ليلتي بين صوت قصف المنازل والمدافع وطائرة الاستطلاع وبين أمنيتي الوحيدة المتمثلة في أن أغط في نوم عميق يخرجني من هذا الواقع الأليم.

عمل للفنانة الفلسطينية فداء الحسنات

أسماء سلامة أبو منسي كاتبة

ثلاث درجات وممرّ صغير...

الجمعة 13 أكتوبر/ تشرين الأول

حرارة خانقة، خوف وتوتر، المدينة كلّها مصابة بالنزوح، الشوارع الفارغة باتت الآن مزدحمة جداً، وغارقة في صمتٍ مريب، بدت على وجوه الجميع هنا آثار الفزع والخوف، شيءٌ جديد مرعب ومخيف أصاب المدينة، وعلى مسافات وبين الحين والآخر صواريخ وطائرات تبدو مريبة هي أيضاً.

شعور غريب ينتابني، في لحظة أشعر أنّ كل شيء ملتحم ومتصلب، ولحظة أخرى برغبتي بالنجاة الفردية. أقف أمام باب بيتنا الصغير، الكبير بما يحتويه، أراقب كل ما يحدث، وجوهٌ غير مألوفة تمرّ، سيارات بكلّ أنواعها وأشكالها تتسارع إلى الفراغ كأنها في سباق مع الزمن والوقت، أراقب قلق المدينة وخوفها كأنها وقعت فريسة لزلزال لا مفر منه، أنا أقف الآن في قلب الحرب.. إنّ كان لها قلب!

أستندُ إلى حافة الباب، أغمض عينيّ وأسبح في سواد تلمع فيه نجوم صغيرة، من العتمة تأتيني تلك الأصوات، ويطلّ عليّ وجه أسماء التي أعرفها من قبل، هذا وجهي قبل أن تُغيره الحرب، تبتسم أسماء داخل ذلك السواد، أعرفها كيف تكون هادئة، بينما يشعر الجميع من حولها بأن العالم كله ينهار فوق رؤوسهم، أمدّ يدي لها وأسألها بصوتٍ متهدج وخائف: يا أسماء؟ ما الذي ينبغي فعله الآن؟ تبتسمين في عتمتك، فأشعر بأن الدنيا ستكون بخير، وأن القصص لا تزال تنتهي بنهايات سعيدة، وهناك حارسٌ للأحلام يملك عصاً سحرية كتلك التي للساحرة في قصة سندريلا، تتلو تعويذاتها مغمضة العينين، ثم بضربة واحدة تصبح الخيالات حقيقة، وتتحول الأسئلة إلى إجابات. تغرقين في التفكير كعادتك، تمسكين يدك بيدك، وتشبكين أصابعك ببعضها، تنظرين إلى الخاتم في إصبعك، تذكرك برودة المعدن بذكرى سعيدة.. وشخص بعيد، تنظرين مجدداً لي وتخبرينني هذه المرة بأنّ هناك شمساً ساطعة ستشرق في صباح ما، وتختفي أسماء. يأتيني وجه هبة، آه يا هبة مرّ زمنٌ طويل على غيابك، وجهها مثل نور، مثل شعاع شمس، فسيح مثل سماء، هبة التي لم تنسَ يوماً عيد ميلادي، هبة التي يأتيني صوتها وطفلاها يخبرونني بقدومهم. منهل وندى طفلا هبة اللذان لا يزالان يكتبان رسائل عيد ميلادي، وأدهش في كل مرة بكلماتٍ جديدة، ماذا أفعل يا هبة؟ والحرب تأكل المدينة وتأكل قلبي؟ أفتح عينيّ على صوت المدينة الجديد، صوت غير مألوف، لا أعرفه ولم أعتد عليه بعد، وأظنني لن أفعل. تسحبني قدماي إلى الغرفة، غرفتي.. ثلاث درجات، وممر صغير، وخطوات قليلة تفصلني عنها..

لم يكن من السهل عليّ أن أقنع نفسي بالتنازل عن عالمي، وتركه لمدة لا أعلمها، فالحرب لا تعطي لك موعداً مع الحياة أو الموت، لتكن مأوى -ربما هو آمن- لتسعة عشرَ نازحاً، تمر لحظات في مخيلتي، ماذا سآخذ من غرفتي؟ أو سأترك كل ما فيها لأني سأبقى داخل بيتي وقريبة من غرفتي؟ دخلتُ مسرعة إليها أنظر هنا وأنظر هناك، بكل زاوية، وبكل مساحة صغيرة فيها، تجول عيناي في المكان كمن يحاول حفظ أماكن الأشياء وتخزينها داخل عقله، هناك دائماً وقت يتغير فيه كل شيء. هذه لوحة رسمها لي صديقي حازم «فنان تشكيلي»، رسائل الصغار في عيد ميلادي.

(«على الهامش» أحبّ الرسائل الورقية المكتوبة بخط اليد أكثر من الهدايا نفسها بعيد ميلادي)

ألمسُ تلك الأوراق الملونة، وتطلّ عليّ وجوه أولئك الصغار المشاكسين، أتذكر وجوههم مرحة ومبتهجة، كتبي، برواز سنابل القمح أحبه جداً «وحبة من سنبلة تسيل تملأ الوادي سنابل»، كل شيء في تلك الغرفة له حكاية وقصة، كحال تسعة عشرَ نازحاً الذين جاؤوا من أماكن مختلفة ليعيشوا في بيتنا. لكل واحدٍ منهم قصة يبدؤون قصصهم قبل الحرب، ومن ثمّ لا أعرف كيف يشتركون في جملة واحدة: ثم خرجنا من البيت. المدينة كلها أصبحت جنوب الوادي، وامتلأ الوادي بالناس ولم يعد هناك مكان للقمح..

■■■

أعود لأتأمل غرفتي مرة أخرى. الصور المعلقة على الجدران، حيواني المفضل الفيل، وكيف يتكوم على السرير بحجمه الصغير لا الكبير، ككومتنا نحن، الخزانة آه، آه.. هذه الخزانة التي عمرها يفوق عمري بمرتين وربما أكثر، خزانة والدي الأولى، تجاعيد الخزانة المحفورة عميقاً فيها، خطوطها بنية اللون المرسومة بشموخ استبسالها، أبوابها بلا مفاتيح، كأنّها حرة طليقة لا شيء يمنعها من أن تفتح تلقائياً كلما أرادت، تشبهني بطريقة ما، مثلي حرة لكني لستُ طليقة، الحربُ تقيّدني، تشعرني بثقلٍ هائل يسحبني إلى الأسفل، في الوقت نفسه، هذه الخزانة تمنحني الحياة والأمل والقدرة على الاستمرار، في كل مرة أنظر إليها، متشبثة بالغرفة كتشبثنا بالأمل، تلك الخزانة لم تتزحزح من مكانها يوماً، أحياناً أفكر لو أنّ جذراً نبت لها وامتدّ في أرض البيت، وأحياناً أخرى أتساءل كيف تعطينا الجمادات نصيبنا من الأمل والحياة بهذه الطريقة؟

بلكونتي العتيقة محطّ أنظار صديقاتي، كن يقلن لي «نيالك شو عندك بلكونة بتجنن بدنا نسكن فيها احنا»، وكأنّ صديقاتي تنبأن بالنزوح قبل حدوثه وهن يمزحن، لم يكن يعلمن أنّ غيرهنّ سكن البلكونة والغرفة، قوارير الورد، اللوحات الفنية، الإضاءة، البساط الملون، تشقق الجدران، السور الخشبي، كل هذا في البلكونة الصغيرة التي حين أكون منزعجة ومشتتة تكون هي ملجئي. الآن تحولت إلى مصنع للطعام في الحرب، الحرب حولت كل شيءٍ فينا إلى سواد أو بالأحرى إلى شيء لا لونَ له ولا طعم، رغم أن كل المشاهد ملونة إلا أنها في الوقت نفسه تبدو باهتة، شاحبة.

أخيراً، تنازلتُ عن غرفتي وأخذتُ فقط شنطة الحاسوب، وبعض الأشياء القليلة، تركتها كما هي، لم أستطع أن أنزع أي شيء منها، تركتُ رسائل الصغار الملونة، الصور المعلّقة، الكتب، لعلها تكون حنونة وآمنة على من سيكون بداخلها.. سكانّها الجدد.

ثلاث درجات وممر صغير وباب مغلق، يفصلني عن غرفتي داخل بيتنا، وكأن العالم كله يبعدني عنها، فأنا لم أنزح، لكنّي جربتُ شعور النزوح داخل بيتي.. بهذه البساطة والتعقيد في آن واحد، صرت نازحة. غرفتي كما لو أنه صار لها يدان هائلتان تحتضنان تسعة عشر شخصاً بألوانهم الباهتة، وعقولهم وقلوبهم المتروكة خلفهم في تلك المدينة شمال الوادي.

من قال إن الحرب لا تصيب اللغة بصاروخ وبقذيفة دقيقة تفقدك القدرة على الكلام، تفقدك التعبير؟

■■■

أمين أصغر النازحين للغرفة، أكمل عامه الأول في الحرب، وبدأ خطواته الأولى المرتبكة نحو حياة لا أعرف كلمة واضحة لوصفها، موحشة؟ ربما.. في غرفتي، حينما شاهدته يحاول المشي انتابني شعور لم أستطع معرفة ماهيته، ما بين نشوة الانتصار على الحرب رغم كل شيء، وشعور آخر بالخذلان تجاه كل من صمت على موت أرواحنا، كيف لطفلٍ أن تكون أولى خطواته خارج بيته، سريره، ألعابه التي كان سيحصل عليها، عائلته الكبيرة، يا لها من حياة غير عادلة، أمين الصغير يحاول في كل مرة الوقوف والمشي بعد السقوط عشرات المرات على الأرض، يقف، يحاول، يتعثر، يسقط، يقف من جديد، دون فقدان الأمل والشغف نحو المحاولة والاستمرار.

ليتنا كلنا أمين.

كيف لأمين الملاك الصغير أن يفقه معنى الموت والحرب؟ وكيف تكون هاتان الكلمتان ضمن أولى كلمات يسمعها، ويتعلمها، وربما يرددها عما قريب، في الوقت الذي من المفترض أن يعرف معنى البيت، العائلة؟ أم حسام، ديما، ولاء، محمد، فداء، بيسان، أبو منهل، أم منهل، وآخرون كلهم لديهم حكايات وآمال وأحلام وأمنيات وشهقات باكية، ودموع حارة صامتة، شهدت عليها غرفتي، ففي أرواحهم قلق لا يوازيه قلق، قلق على كل شيء، على الحياة، على الأرض، على الأمنيات، فجميعهم أمنيتهم الوحيدة: العودة إلى البيت. من قال إن الحرب لا تخطف القلب، وتسرق اللغة أيضاً؟ من قال إن الحرب لا تصيب اللغة بصاروخ وبقذيفة دقيقة تفقدك القدرة على الكلام، تفقدك التعبير، والبوح؟ حينها كل معاجم اللغة لا تسعفك لوصف ما بداخلك. ورغم ما أصابتني به الحرب من خطف لروحي ولغتي فإنني أحاول في كل مرة الكتابة، الكتابة بصمت، لا أعرف كيف يمكن أن تكون الكتابة صامتة، ربما حين تكون ممتلئاً حتى آخرك بالكلمات والشعور لكنك لا تستطيع مهما فعلت أن تضعها على ورقة. أو ربما هي محاولة للثبات، والتشبث بما تبقى من الروح..

في 10 مارس/ آذار 2024، عدتُ إلى غرفتي بعد خمسة أشهر وثلاثة أيام، ولم تعد الثلاث درجات والممر الصغير يفصلنني عنها. احتضنت كل شيء فيها، قبّلت جدرانها، وقفت على شباكها الذي سلبه القصف المجنون في إحدى المرات، أحمد الله كثيراً على سلامة غرفتي، لكن يتملّكني شعور بالذنب وغصة لا تفارقني على حال البيوت وأصحابها، كيف حال من لا بيوت لهم، كيف لأرواحنا أن تتحمل كل هذا الخراب والدمار، كيف يمكن أن تأكل الحرب مدينة بأكملها، ببيوتها، البيوت لم تنجُ هي أيضاً من الموت، الحرب مكلفة حتماً، ستبقى البيوت والغرف معلقة شاهدة، تحفظ في داخلها كل ما حدث لها، وفي يومٍ ما.. ستسرد حكايتها لمن تبقى من أهلها..

مايو / أيار 2024